



## نظرات في اللسانيات العربية عند عبد الرحمان الحاج صالح وأثرها في المباحث اللغوية ذات الصلة بعلوم القرآن

*Views into Arabic linguistics by Abd al-Rahman al-Haj Salih and their impact  
on linguistic researches related to the sciences of the Qur'an*

أ.د/ رضوان لخشين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة (الجزائر)  
[Redlek21@gmail.com](mailto:Redlek21@gmail.com)

عبد المؤمن بلباز\*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة (الجزائر)  
[islamicstudy555@gmail.com](mailto:islamicstudy555@gmail.com)

تاريخ النشر: 2023/07/15

تاريخ الاستلام: 2023/06/07

تاريخ الاستلام: 2022/11/02



**ملخص:** يعتبر التكامل الموجود بين العلوم الإنسانية من أهم المرتكزات التي تعين على الإحاطة بالإشكاليات العلمية أو العملية التي تتصل بحياة الإنسان الفكرية، وكل من العلوم الإنسانية تستمد حيويتها وتطورها من حيوية وتطور اللغة، ومن هذا المنطلق كان الحكم على جودة الدراسات الإنسانية تابع لما مدى جودة البحث في الدراسات الألسنية، وفي هذا المقال الذي يأخذ دراسات الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح كنموذج معتدل للدراسات اللسانية العربية، ويأخذ بعض المباحث اللغوية القرآنية كنموذج للدراسات الإسلامية، يهدف إلى معرفة المباحث المشتركة بينهما وماهية التكامل بينهما، وكذا سبل التجديد لبعض من علوم القرآن على أساس النظرة المعاصرة التي تميزت بها بحوث الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح.

**الكلمات المفتاحية:** علوم القرآن؛ اللسانيات؛ الأثر.

**Abstract:** The integration that exists between the human sciences is one of the most important foundations that help to understand the scientific or practical problems related to the intellectual life of human, and each of the human sciences derives its vitality and development from the vitality and development of language. From this point of view, the judgment on the quality of human studies was dependent on the extent of the quality of research in linguistic studies, and in this article, which takes the studies of Professor Abd al-Rahman al-Haj Saleh as a moderate model for Arabic linguistic studies, And it takes some Qur'anic linguistic researches as a model for Islamic studies, aiming to know the common topics between them and the nature of their integration, as well as the ways to renew some of the sciences of the Qur'an on the basis of the contemporary view that characterized the research of Professor Abd al-Rahman al-Haj Saleh.

**Keywords:** Quranic sciences; linguistics ; impact.

\* المؤلف المراسل.

## 1. مقدمة

تُعتبر اللسانيات وبحوثها من أهم ما تميز به العصر الحديث في العالم أجمع، وكان من أهم أسباب هذا النشاط ما تُثيره العولمة من تساؤلات، وما تقتضيه من دراسة وإعادة صياغة للمفاهيم. والحق الذي لا غبار عليه هو أنّ هذه العولمة قد اتخذت منهجا واحدا في المنطلق والغاية، فمنطلقها هو إخضاع كل العلوم للمنطق العقلي؛ فالباحث هنا يحاول أن يجد تفسيراً عقلياً ومنطقياً لما يجده من تراث؛ وأما غايتها فهي إعادة صياغة المفاهيم التي لا تتفق مع العقل صياغة جديدة منطقية، وبين هذا المنطلق وتلك الغاية وجدت العولمة نفسها مع أس القضايا ومركزها والمحرك لكل العلوم وهي اللغة أو اللسان، إذ أنّ هذا الأخير كما هو عند بعض الفلاسفة وجه آخر للفكر في العملة الواحدة فظهرت الحداثة مثلاً كمذهب في الأدب واللغة بخاصة عند شعراء الغرب<sup>1</sup>، ثم امتدت إلى شعراء وأدباء العرب وصارت سمة لنقد القديم وبناء الجديد.

لكن وقع العرب بخاصة في إشكاليات التراث من جهة وإشكاليات غياب منهجية تضمن لهم نقد ما يستحق النقد وتغيير ما يستحق التغيير، وفي ضوء غياب تلك المنهجية تسربت مفاهيم من اللغة وجدلياتها لتصل إلى ما يتصل باللغة وهي القضايا الدينية وجدلياتها. وفي مقدمة تلك القضايا: العلوم المتصلة بالقرآن الكريم، كونه الكتاب الموصوف باللسان العربي.

ومما يلفت الانتباه أن من أكثر المحاولات الجادة في تأصيل مفهوم الأصالة والمعاصرة - وإن قلّت نوعيتها في البلدان العربية- أعمال الأستاذ عبد الرحمان حاج صالح في اللسانيات، فقد أعطت مفهوماً وسطياً ومعتدلاً في الدراسات الألسنية، فنظر إلى اللغة على أنها شيء تتناوله التجربة، وعاملها وكأنها مادة في مختبر علمي، ولم يتنكر للتراث بل نقده نقد عالم - أقول النقد وليس الطعن- فأعاد صياغة المعاني عند المتأخرين على أساس العلم المتين الموجود عند المتقدمين.

ومما لفت نظري أنّه خلال بحثه اللغوي وصل إلى بحث بعض المسائل المتعلقة بعلوم القرآن كونها لها صلة باللغة العربية، فرأيت أنها تصلح مادة للبحث، فأظهرتها في هذا المقال بعنوان: نظرات في اللسانيات العربية عند عبد الرحمان الحاج صالح وأثرها في المباحث اللغوية ذات الصلة بعلوم القرآن".

وتأتي إشكالية البحث في إطار التساؤل: ما مدى الاستفادة من البحوث الألسنية المعاصرة في تجديد بعض المسائل المتعلقة بالتفسير وعلومه؟ وما هي المباحث المشتركة بين كل من اللسانيات وعلوم القرآن الكريم؟.

1- انظر للمزيد عن نشأتها وأقوال بعض من أدباء الغرب في تعريفها ما يلي: خيرة حمر العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، ص31-35. وكذا عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر ص 15.

كما تأتي أهمية هذا البحث في الكشف عن نظرة اللغوي والباحث في اللسانيات كمتخصص في اللغة إلى التفسير وعلومه من جهة، وسبل الاستفادة من تلك البحوث في إعادة صياغة المفاهيم الخاطئة واستثمارها والاستعانة بها في إعادة إحياء المفاهيم الصحيحة.

ويعتبر السبب الرئيس لاختيار هذا البحث هو محاولة ربط اللسانيات وبحوثها - وهو مجال مستقل- بمجال علم الشريعة والدراسات الإسلامية كنموذج للتكامل الموجود بين العلوم الإنسانية والاجتماعية والاستفادة من بعضها.

ويهدف هذا المقال في الجملة إلى إعطاء مثال علمي عن أهمية البحوث اللسانية في الكشف عن صحة أو خطأ بعض المفاهيم المتصلة بالعلوم الشرعية كون كل من المجالين أساسهما اللغة وعلومها. ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف اتبعت منهجية معينة حيث قسمت البحث إلى مقدمة وأربع محاور وخاتمة .

المحور الأول: ترجمة للأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح.

المحور الثاني: مفاهيم مهمة في البحوث اللغوية.

المحور الثالث: جهود عبد الرحمان الحاج صالح في تجديد اللسانيات.

المحور الرابع: أثر البحوث الألسنية في المباحث اللغوية ذات الصلة بالقرآن الكريم.

ثم أتبع البحث بخاتمة وملحق للمصادر والمراجع.

## 2. ترجمة الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح<sup>1</sup>

وُلد البروفيسور عبد الرحمن الحاج صالح في وهران بالجزائر سنة 1927م. وككل الجزائريين لم تكن عندهم إبان الاستعمار مدرسة خاصة إلا جمعية العلماء المسلمين حيث تلقى تعليمه بها . وقد شارك في النضال ضد الاستعمار الفرنسي منذ صباه، فالتحق بحزب الشعب الجزائري وعمره لا يتجاوز خمس عشرة سنة. واضطر - إثر ملاحقة الشرطة الفرنسية للمناضلين الجزائريين - إلى

1- انظر للمزيد عنه: كل من تقديم الأستاذ شوقي ضيف لكتابه "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" ج1ص7-8، وكذا كتاب المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث" للتواتي بن التواتي. ص 85-86 ، وكذا ينظر للمزيد عن مشروعه المسعى بالخيرة اللغوية رسالة دكتوراه، حمزة بوكثير "جهود عبد الرحمان الحاج صالح في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات" قسم الدراسات اللغوية، كلية الأدب العربي والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم- سنة 2019، ص77، وكذا رسالة ماجستير بعنوان "جهود عبد الرحمان صالح في الدرس اللساني" قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان- سنة 2014، ص1، مقال أكاديمي بعنوان: " النظرية النحوية عند عبد الرحمان الحاج صالح" عبد السلام السيد حامد، Route Educational & Social Science Journal 5م 10ع سنة2018ص 139، ينظر أيضا في ترجمته: موقع جائزة الملك فيصل على الرابط الآتي:

[https://web.archive.org/web/20180823061305/http://kingfaisalprize.org:80/ar/professor-abderrahman-el-houari-hadi-](https://web.archive.org/web/20180823061305/http://kingfaisalprize.org:80/ar/professor-abderrahman-el-houari-hadi-saleh/)

[/saleh/](https://ar.wikipedia.org/wiki/صالح-عبد_الرحمان-الحاج) وله ترجمة على الويكيبيديا على الرابط : عبد الرحمان- الحاج -صالح

الرحيل إلى مصر، ورغم أن شغفه كان متعلقاً بالطب في أول حياته إلا أنه سرعان ما حول اهتمامه إلى علوم اللغة العربية وبخاصة بعد تعلقه بالخليل بن أحمد، حيث سكن عقله وفكره ومنظوره للغة العربية، ثم انتقل إلى فرنسا حيث تحصل على ليسانس اللغة العربية وآدابها، وعلى دبلوم الدراسات العليا في فقه اللغة واللسانيات الفرنسية من جامعة بوردو، وشهادة التبريز في اللغة العربية وآدابها من جامعة باريس في فرنسا. وانتقل بعد ذلك إلى المغرب حيث قام بتدريس اللسانيات في كلية الآداب بجامعة الرباط وحصل - في الوقت نفسه - على دبلوم العلوم السياسية من كلية الحقوق، كما درس الرياضيات في كلية العلوم بالرباط. وفي سنة 1979م نال درجة دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة باريس الرابعة.

بعد أن رجع إلى بلاده الجزائر عمل وتدرج كمتخصص في اللسانيات فمن أستاذ محاضر في سنة 1962م إلى رئيس دائرة اللسانيات وقسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الجزائر، فعميداً لكلية بين سنتي 1965-1968م، كما عمل مديراً لمعهد العلوم اللسانية والصوتية، ومديراً لوحدة البحث في علوم وتكنولوجيا اللسان، وقد أسس مجلة العلوم اللسانية، وأنشأ برنامج الماجستير في علوم اللسان وفي سنة 2000م عُيّن رئيساً للمجمع الجزائري للغة العربية؛ إضافة إلى عمله أستاذاً وباحثاً في جامعة الجزائر. وقد تخرّج على يديه عدد كبير من الباحثين وطلاب الدراسات العليا.

وله مشاركات عديدة في الدراسات اللسانية: بحثاً وتقويماً وتعليمياً، وجهوده بارزة في حركة التعريب. وقد تعددت نشاطاته العلمية والثقافية، فترأس اللجنة الدولية والهيئة العليا لمشروع الرصيد اللغوي، بإشراف جامعة الدول العربية. واختير عضواً في مجامع اللغة العربية في دمشق وبغداد وعمّان والقاهرة، ورئيساً للجنة الوطنية الجزائرية لإصلاح المنظومة التربوية، وخبيراً في منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، وعضواً في المجالس الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب بالرباط، والمعهد الدولي للغة العربية بالخرطوم ومعهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم). وكان مديراً لمجلة اللسانيات الصادرة في الجزائر. وهو عضو في هيئات تحرير بعض المجالات الغربية في مجال تخصصه.

له العديد من البحوث المنشورة نذكر منها على سبيل الإيجاز لا الحصر: "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، "السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، "منطق العرب في علوم اللسان"، "الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية"، "البنى النحوية العربية"، "النظرية الخلية الحديثة مفاهيمها الأساسية"، "اللسانيات العربية واللسانيات العامة، دراسة منهجية وابستمولوجية لعلم العربية"، وهي رسالته للدكتوراه من جامعة السوربون من فرنسا .

مُنح جائزة الملك فيصل لخدمة اللغة العربية وعلومها تقديراً لجهوده البارزة في تحليل النظرية

الخليبية والدفاع عن أصالة النحو العربي والاهتمام بحركة التعريب.

توفي البروفيسور عبد الرحمن الحاج صالح يوم الأحد 5 مارس 2017م في العاصمة الجزائرية بعد عمر مديد قضاه في خدمة اللغة العربية وكثير من قضاياها.

### 3. مفاهيم مهمة في البحوث اللغوية

يجدر التنبيه أن هناك الكثير من المصطلحات التي تستعمل في البحوث اللغوية والتي يجدر بنا أن نميزها عن بعضها البعض بوضع التعاريف اللائقة بها، وهي كالتالي: علم اللسان، فقه اللغة وعلم اللغة وإليك مفاهيم كل واحدة على حدة.

3-1: علم اللسان: يميل دوسيسير إلى أنها الدراسة العامة لجميع مظاهر الكلام البشري سواء تعلق الأمر بكلام الشعوب المتوحشة أو الأمم المتحضرة في العصور العتيقة أو المتحضرة أو في العصور الكلاسيكية أو في عصور الانحطاط بغض النظر عن صحة المظهر الكلامي بل كل أنواع التعبير داخلية في علم اللسان<sup>1</sup> وقد أكد هذا التعريف عبد الرحمان الحاج صالح فقرر أنه استعمل للدلالة على كل دراسة خاصة باللسان تميزها لها بما هو خارج عنها من علم أصول الفقه وعلم الكلام وعلم الحديث وعلم المنطق وعلم الحساب وغيرها من فنون المعرفة، أما حديثاً فهو ترجمة للفظ LINGUISTIQUE وموضوعه في نظر العلماء المحدثين هو اللسان البشري بوجه عام والألسنة المعنية بوجه خاص، وهو يتعرض للأحداث اللسانية كعلم يهتم بمشاهدة الظواهر اللغوية وبالاستقراء الواسع المستمر والتحليل الإحصائي وباستنباط القوانين العامة وبتعليلها لجعلها معقولة وغير ذلك<sup>2</sup>.

3-2: فقه اللغة: هذا المصطلح يطلق عليه دوسيسير لفظ الفيلولوجيا ويقول أن هم أصحابه هو ضبط النصوص وتأويلها والتعليق عليها، وخلافاً لمفهوم علم اللسان العام فإن النقد اللغوي حاضر في هذا الفرع في البحوث اللغوية<sup>3</sup>.

ويأتي ذكر معاني فقه اللغة بين القديم والحديث في بحوث عبد الرحمان الحاج صالح حسب المفاهيم الآتية، فعند القدامى يقول ما نصه: "هو لفظ يطلق على أحد فروع علم اللغة وموضوعه هو الفوارق اللغوية التي تنتج عن التفرع الدلالي وتشعبات المعاني أو بعبارة أخرى التمييز بين الوضع والاستعمال فيما يرجع إلى المفردات أي الوضع اللغوي الأول وما يتفرع عليه من استعمالات مختلفة في الجماعات الإقليمية أو الفردية النادرة، وقد أورد ما مثل به ابن خلدون بكلمة الأبيض وضعت لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب ومن الإنسان بالأزهر<sup>4</sup> أما فقه اللغة في

1- دوسيسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرماذي ص24 بتصرف.

2- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. ج1 ص24.

3- دوسيسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرماذي ص 18.17 بتصرف.

4- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص22.

العصر الحديث فقد ضاق نوعا ما بسبب أن ضبط المعاني الوضعية وبيان درجة شيوعها وعزوها إلى قائلها من مختلف القبائل قد أحدث له علم جديد وهو علم اللغة الرياضي الجغرافي وهما فرعان آخرا لهذا الفن<sup>1</sup>.

أما عند القدماء من الغربيين فهو يقترب من مفهوم الفيلولوجيا وهو الدراسة اللغوية للنصوص القديمة لإدراك فحواها ومغزاها، وفي الغالب يستعين بهذه الدراسة غير المتخصصين في اللغة كالمؤرخ ورجل القانون وغيرهم وعلى هذا التعريف لم يكن فنا مستقلا بذاته، أما المفهوم الثاني وهو الدراسة اللغوية التاريخية وعلم اللسان المقارن أو النحو المقارن والمقصود منه إثبات المراحل التطورية التي تمر عليها اللغة وإثبات القرابة بين اللغات باستعمال مناهج المقارنة التاريخية ويسميه بعض الأوروبيين إما *linguistique historique ou linguistique comparative ou linguistique comparée ou grammair historique ou philologie comparée*<sup>2</sup>.

3-3: أما علم اللغة: فمثلا عند السيوطي جعله دراسة للأصوات والكلمات اللغوية من حيث السند ومن حيث الألفاظ وطبيعتها وكذا من حيث المعنى لتلك الألفاظ، وبعض المباحث الزائدة<sup>3</sup> ويضيف عبد الرحمان الحاج صالح مفهوما دقيقا لهذا العلم فيقول أنه عند القدماء هو العلم الذي يعالج مفردات اللسان من حيث ثبوتها في ذلك اللسان وثبوت صيغها المسموعة وثبوت معانيها الأصلية والفرعية باستقراء كلام الناس فهو دراسة استقرائية تحليلية لمادة اللسان وجوهره، أما في الحديث فبقي عند العرب هو نفسه تماما وهو ترجمة لكلمة *lexicologie*، أما عند غيرنا فهو ترجمة لكلمة *linguistique* وهو ما نعتبره نحن بعلم اللسان أو اللسانيات وهذه الترجمة قد تكون سببا في الالتباسات التي تطرأ على أقوال العلماء المحدثين في علم العربية<sup>4</sup>.

ولورجعنا إلى القرآن فسنجد ورود كلمة "اللسان" تطلق ويراد بها قوة النطق أو ملكة النطق كما في قوله تعالى: ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ (طه:27)، ويطلق أيضا على اللغة كما في قوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء:195).<sup>5</sup>

وأما كلمة "اللغة" فهي من الفعل "لغا" وهو ما يخرج من اللسان من أصوات من غير روية ولا فكر وهو ليس خاصا بالإنسان وحده، فيقال للطير أنه يلهج بلغاه أي بصوته، وسميت اللغة كذلك لأنها يلهج بها الناس<sup>6</sup>.

1- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص23.

2- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص24.

3- السيوطي، المزهري في علوم اللغة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، ج1 ص4-1. بتصرف.

4- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص26.

5- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي ط2009 ص740 بتصرف.

6- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص742-743 بتصرف.

#### 4. جهود عبد الرحمان الحاج صالح في البحوث اللسانية

تعد بحوث الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح فريدة من حيث إخراج نظريات مؤسسة على القراءة الصحيحة للتراث، حيث انطلق من تحليل علمي لمنهج الخليل ومحاولة تطوير ذلك المنهج والاستثمار فيه في مجال اللغة الحاسوبية كل ذلك من أجل تيسير اللسانيات.

1-4: يمتاز جهده العلمي في التمحيص الدقيق للمذاهب المعاصرة من خلال طرح الأسئلة الوجيهة التي ترشد إلى الأجوبة والحقائق العلمية الدقيقة، فمثلا يوجه الباحثين والأكاديميين إلى دراسة المذهب البنيوي حيث يقول: "يجب على كل باحث عن محتوى البنيوية -مذهب البنية في اللغة والأدب- ومن أين جاءت، وكيف نشأت، وما هي الأسس المنهجية والعلمية التي بنيت عليها، ولماذا تدعو إلى تبني تلك الأفكار، ثم ما هي المذاهب التي ظهرت بعدها، وفي ماذا ناقضتها ثم فيما هي محقة وغير محقة ثم ما هي المفاهيم الطارئة فيها، وما هي التي تنتهي إلى أقوال القدامى وغير ذلك"<sup>1</sup>

وأسلوب طرح الأسئلة والمناقشة هو المبدأ الذي ينطلق منه كل مجدد لأي علم، والأستاذ باتباعه لهذا المبدأ وصلت بحوثه إلى مستوى عال من الدقة، على خلاف من يحفظ كلام غيره وينقله بلا فهم .

2-4: من أكثر الجهود تميزا عنده هي تلك الجهود التي بناها على التفريق بين منطوق العرب ومنطق أرسطو حيث يقول " منطوق أرسطو قد بناه صاحبه على مفهوم الاشتغال أي اندراج شيء تحت شيء آخر كمثال الاستدلال الذي أوضحه فورفوروس كل إنسان فان وسقراط إنسان إذن سقراط فان فسقراط مندرج تحت جنس الإنسان وهذا الأخير تحت جنس الكائنات الفانية أما الاستدلال العربي فهو مبني لا على الاندراج بل على حمل شيء على شيء أو إجرائه عليه ومن ثم إلحاقه به في الحكم لوجود جامع بينهما يستنبطه الباحث بهذا الإجراء، وهذا هو عين الاستدلال في الرياضيات وهذا الفارق بين القياسين اليوناني والعربي هو أساسي ولم يدركه إلا القليلون من الناس (وابن تيمية هو ممن تفهموا جيدا هذا الفارق)"<sup>2</sup>.

وهذا الكلام منه عين ما نجده في القياس اللغوي أو القياس الفقهي حيث يلجأ الفقيه إلى نوع تدبر الأدلة واستخلاص العلل التي بنيت عليها الأحكام التكليفية ثم إلحاق الفروع الحادثة التي تتوفر فيها علل الأصول والحكم عليها بحكم الأصول.

3-4: يطرح الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح منهجا جديدا لدراسة اللسانيات بخاصة منها ما تعلق بمعاني المفردات أو المصطلحات الخاصة بعلم اللغة، والتي تنطبق أيضا على كل علم ويسمي ذلك المنهج باسم "منهج المقابلة الدلالية" وهي استخلاص معاني النص والوصول إلى المقاصد الحقيقية التي قصدتها بالفعل صاحب هذا النص، يقول في هذا الصدد: "يمكن أن نمثل ذلك بلفظ الفصاحة وما يشتق منها

1- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1 ص13-14.

2- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص15.



فما هو الغرض من الفصاحة عند سيبويه ومن عاصره إلى عصر الجاحظ، نبدأ أولاً باستقراء الكتاب ومسحه كما قلنا مسحا كاملا حتى نجمع كل السياقات التي وردت فيها هذه المادة بمشتقاتها<sup>1</sup>.

وهذا المنهج مبني على معرفة الكلمات المفتاحية التي لها شأن في البحوث اللسانية مثل لفظ "الفصاحة" ثم معرفة الاشتقاقات لهذه الكلمة، ثم معرفة الاستعمالات وكيف تتسع أو تضيق من عصر لآخر وذلك من خلال الاستقراء، ثم معرفة السياقات التي ترد فيها هذه الكلمة، هذا كله يساعد على استخلاص المقاصد الحقيقية لهذه الكلمات.

وكان الأستاذ يعيب على المتأخرين أنهم لا يعرفون بالضبط ما كان يقصده علماءنا الأولون من كلمتي الحرف والكلمة والقياس والباب وغير ذلك مما يوجد في كتب الأولين والمتأخرين<sup>2</sup>.

4-4: أيضا تمتد جهود الأستاذ لإقامة مشاريع علمية مستقلة بذاتها، مثلا مشروع الذخيرة العربية ويصف مشروعه كالآتي: "فالذخيرة اللغوية العربية هي إذن بنك آلي من النصوص القديمة والحديثة من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر وأهم صفة تتصف بها هي سهولة حصول الباحث على ما يريد وسرعته ثم شمولية المعلومات التي يمكن أن يتحصل عليها وأهم من هذا أيضا هو اشتغالها على الاستعمال الحقيقي للغة العربية عبر العصور وعبر البلدان العربية المختلفة"<sup>3</sup>

إذن فمشروعه مبني على استغلال الأجهزة الحديثة في ميدان اللسانيات من أجل خدمة اللغة العربية لتكون سهلة الاستخدام وسهلة التعلم أيضا.

### 5. أثر البحوث الألسنية في المباحث اللغوية ذات الصلة بالقرآن الكريم

إن البحوث الألسنية التي تناولها عبد الرحمان الحاج صالح في كتبه كانت تعتمد في الأساس على فكرة المدونة اللغوية التي تعني بمفردات الكلمة في سياقها وتطورها، تلك المدونة العامة بعد أن انتقل جزء من مفرداتها إلى القرآن الكريم حيث وُصف بأنه «بلسان عربي مبين» (الشعراء: 195) صارت العناية بالمفردة اللغوية تتشارك فيها الألسنية العامة في الاستعمال العربي العام وتتشارك فيها الألسنية الخاصة -إن صح التعبير- في الاستعمال القرآني فاعتنى مثلا كثير من علماء القرآن كالراغب الأصفهاني بالمفردة من هذا الوجه المذكور وله كتاب بعنوان "مفردات ألفاظ القرآن" وسأذكر في هذا المحور جانب من العناية بالمفردة اللغوية في كل من المجال اللساني والقرآني من ثلاث جهات: الأولى: جهة الفصاحة، والثانية: جهة الوضوح والإبهام، والثالثة: جهة التنوع الصوتي للمفردة اللغوية، وقبل البدء سأتناول نظرة عبد الرحمان الحاج صالح التوفيقية بين المتمسكين بالتراث وبين الداعين للحدثة في الدراسات اللسانية عموما.

1- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص18.

2- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص14.

3- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص409.



## 1-5 مشكلة الأصالة والمعاصرة في الدراسات اللسانية

تعتبر هذه الجدلية من أكثر الجدليات حضوراً في العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية بشكل خاص والحق أنها جدلية مشتركة وهذا الاشتراك يعيننا في فهم الموضوع من كل أبعاده، فمثلاً في علوم القرآن نجد مشكل المعاصرة مطروح بخاصة مع ظهور ما يسمى بالتيارات الحدائية، ومحاولة هذه التيارات إعطاء مفهوم معاصر لعلوم القرآن، فلو أردنا مثلاً أن نستفيد من النظرة التجديدية للأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح الذي واجه نفس المشكلة بين من يتهم اللغة العربية عن معاصرة الزمن وبين من يتمسك بتراث لغوي غير صحيح وغير أصيل نجده أولاً يفهم الأصالة على أنها الشيء الفريد من نوعه أو الذي يأتي بشيء جديد لم يسبق إليه مهما كان الزمن الذي يعيش فيه، وهي عنده ليست مقابلة للمعاصرة أو الحدائية وليست مترادفة مع التقليد أيضاً.

فيقول مثلاً: "لا نشاطر نظرة الكثير من المثقفين عندما يقابلون هذا المفهوم بالحدائية أو المعاصرة فإن الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد أياً كان المقلد المحتذي به سواء كان العلماء العرب القدامى أو العلماء الغربيين إذ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره... فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه والأصالة في زمننا هذا وعلى هذا الأساس هي الامتناع من تقليد الغربيين خاصة"<sup>1</sup> فما يسمى أصيل عند الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح هو ما توفر فيه شروط وهي :

1- البعد عن التقليد بلا حجة سواء تقليد الغربيين أو التراثيين.

2- أن يكون شيئاً جديداً لم تسبقه الأبحاث من قبل سواء الأبحاث الغربية أو العربية القديمة أو الحديثة.

لو أردنا أن نطبق هذا المفهوم على الحدائين العرب بخاصة فس نجد ضعف الأداة الأكاديمية عندهم من حيث أنهم مقلدون لغيرهم من الغربيين وأحياناً يكونون مثل المترجمين لهم، ثم إنهم لم يأتوا بشيء جديد في الدراسات التفسيرية للقرآن الكريم، فممكن القول أنهم أبدلوا تقليد التراث بتقليد آخر وهو تقليد الفلسفة المعاصرة وهذا لا يعد تجديداً إطلاقاً.<sup>2</sup>

1- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص11 بتصرف.

2- هذا الكلام دقيق جداً ويحتاج إلى فهم دقيق أيضاً، لأنه حينما نرجع إلى القواميس العربية نجد أن كلمة الأصل نوعاً ما تميل إلى الثبوت والاستقرار جاء مثلاً في كتاب العين ما نصه: "استأصلت هذه الشجرة أي ثبت أصلها، ويقال فلان أصيل الرأي وإنه لأصيل الرأي والعقل والأصل أسفل كل شيء" [الخليل بن أحمد، العين، ت: عبد الحميد الهنداوي ج1 ص73 بتصرف]. وانظر أيضاً: [مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، ج1 ص109]. في هذا الكلام نعرف بوضوح كيف يتم الموازنة بين الأصالة والمعاصرة، فمثال الشجرة الذي يضربه اللغويون وعلى نفس النسق يُضرب في القرآن في قوله: ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ (إبراهيم: 24)، وهذا في مقابل الشجرة التي لا أصل لها، فالأصل يأتي كقاعدة والظاهر من الشجرة يأتي كالفرع لذلك الأصل هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن قوة أو ضعف الشجرة تابع لقوة أو ضعف الأصل فليس معنى الثبات هو القوة وهذا عين ما وصل إليه الأستاذ الحاج صالح في كلامه المتقدم إذ أن الأصيل في الفكر أو الرأي أو العقل هو الذي يكون مخالفاً لغيره من حيث صحة وقوة العلم أو البحث أو منهجية البحث التي يعتمد عليها، ولهذا حينما اعتمد الأستاذ الحاج صالح منهجية معينة في اللغة أوصلته إلى أصالة لا تشبه أصالة غيره من اللغويين الذي وقعوا ضحية التقليد للتراث أو غيرهم ممن وقع ضحية التقليد للغربيين.

2-5: من علوم القرآن علم الإعجاز والفصاحة وهو من العلوم التي أدرجها الزركشي في كتابه علوم القرآن في النوع الثامن والثلاثين<sup>1</sup>، وهو يعتبر من المباحث المشتركة بين الدراسات القرآنية واللسانية كون المفردة القرآنية جزء لا يتجزأ من المفردة اللغوية العامة، وتتأثر هذه بما تتأثر به تلك، ولهذا نرى الحديث عنها في كتب اللغة أو فقه اللغة، فقد عدَّ السيوطي الفصاحة من علوم اللغة ثم تكلم عن خصوصية المفردة القرآنية من هذه الحيثية فنقل كلام ابن خالويه الذي يقول: "قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن"<sup>2</sup>، وعلى نفس النسق مثى ابن فارس في الابتداء بمبحث الفصاحة بشكل عام ثم العناية بالمفردة القرآنية بشكل خاص<sup>3</sup> كما نجد من المختصين في علم البيان والبلاغة ألقوا في الفصاحة والبيان بشكل عام ولهم مؤلفات في فصاحة المفردة القرآنية بشكل خاص وهذا مثل الجرجاني وسيأتي شيء من كلامه.

وقد تطرق إلى هذا المبحث الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في بحوثه اللسانية حيث يقول: "ليس في المدونة العربية اللغوية التي تشمل القرآن ثم الشعر ثم كلام العرب من أمثال وكلام عفوي مما سمع ودون، وهذه المدونة ليس فيها إلا الكلام الفصيح والحق أن هناك مدلولين اثنين للفظ الفصيح أحدها اصطلاح عليه علماء العربية من الصدر الأول حتى بداية القرن الخامس الهجري وثانيهما هو المفهوم الذي راج عند علماء البلاغة بعد الخفاجي وقد تفهم ذلك جيداً كعادته مؤسس النظرية البلاغية العربية العبقري عبد القاهر الجرجاني حين يقول "لم يعلموا أن المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة أنها في اللغة أثبت وفي استعمال الفصحاء أكثر أو أنها أجري على مقاييس اللغة والقوانين التي وضعوها"<sup>4</sup>، وعلى هذا فالفصيح هنا هو اللفظ الذي ثبت في اللغة وكثر وليس فقط ما حُص من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس كما يحدده القزويني<sup>5</sup> وكما هو عند المحدثين وإن كان صحيحاً من وجهة نظر البلاغي أما ثبوته في اللغة فهو أن يكون سمع بالفعل في استعمال فصحاء العرب ومن أكثر من واحد وهذا ما يعنيه سيبيويه عندما يذكر "العرب الموثوق بعربيتهم" أي الذين لم يتأثروا بلغة أخرى...فصفة الفصحى أو الفصيحة إذا أطلقت على العربية فهي وصف ينتهي إلى هذا الاصطلاح اللغوي لا البلاغي لأن المقصود من ذلك اللغة التي نزل بها القرآن ونطق بها بالسليقة أجيال من العرب منذ ظهور أول شاهد كشعر المهلهل وامرئ القيس حتى اختفاء هذه الملكة غير الملقنة العفوية عند كافة الناطقين إلى نهاية القرن الرابع"<sup>6</sup>.

- 1- وكذا أدرجها السيوطي داخل مبحث الإعجاز في النوع الرابع والستين في كتابه الإتيقان، انظر السيوطي، الإتيقان، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ص1873.
- 2- السيوطي، المظهر في علوم اللغة، ت: محمد إبراهيم وآخرون، ج1 ص213.
- 3- ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، ت: أحمد حسن بسج، ص28، 32..
- 4- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، ص458-459.
- 5- التفاتازاني سعد الدين وآخرون، شروح التلخيص، شروح التلخيص، ج1 ص95.
- 6- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص31.

والأستاذ في تحليله لكلمة الفصاحة استعان بنظرية الجرجاني في نظم القرآن فرجع إلى مصدر كتابه "دلائل الإعجاز" وجدير بالذكر أن الجرجاني بدأ ببحث فصاحة المفردة اللغوية بشكل عام ثم درس فصاحة المفردة القرآنية بشكل خاص<sup>1</sup>، وقد ردّ في كل من المبحثين على المعتزلة -إحدى الفرق الإسلامية- في مواضع كثيرة<sup>2</sup>، ثم إنه طبق بحوثه اللسانية في الفصاحة على أمثلة كثيرة في التفسير<sup>3</sup> والذي يعيننا هنا هو إثبات الاشتراك والتأثر في بعض المباحث بين كل من الدراسات القرآنية واللسانية.

وأثر كلام الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في دراسات إعجاز القرآن هو النظر إلى مفهوم الفصاحة كمفهوم علمي لغوي لا بلاغي وحسب، فألغى القرآن حينما توصف بالفصاحة فالمراد أنها سمعت من العرب الموثوق بعربيتهم أي الذين لم يتأثروا بلغة أخرى، والإعجاز ليس فقط في اللفظ بل في التركيب والمعاني أيضا يقول الزركشي ما نصه: "القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتزيهه في صفاته ودعاء إلى طاعته وبيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم وحظر وإباحة"<sup>4</sup>.

فليس كل ما خلا من التنافر والغرابة ومخالفة القياس يكون بالضرورة فصيحاً، حتى وإن كان البلاغيون يعتبرونه كذلك، بل يجب أن تتوفر فيه الاستعمال من العرب الموثوقين وهذا ما أثبتته الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح مستندا فيه إلى الجرجاني.

ومما زاد في تحقيق الأستاذ لمسألة الفصاحة ومعناها هو تصحيح لمن تعتبر فصاحتهم من القبائل العربية إذ يقول: "وتبين لنا أن تغير رقعة الفصاحة على ممر الزمان هو شيء خطير لم يعره المحدثون كبير اهتمام فبعد أن شملت أكثر الأراضي العربية قبل الإسلام بدأت تتضايق شيئا فشيئا بحكم اختلاط العرب بغيرهم في شبه الجزيرة نفسها بعد ظهور الإسلام حتى إذا قام العلماء مثل أبي عمرو ابن العلاء وأصحابه بالمسح الكامل للأراضي الفصيحة قصروا تحرياتهم على بعض القبائل دون بعض وهذا قد تأوله الكثير من المحدثين فقالوا بأن ما اعتمد في التحليل هو فقط ما دونوه في تلك القبائل (أهل البدو فقط) وهو غير صحيح فالاستقراء للشواهد النحوية واللغوية يبين أن المدونة اللغوية العربية تشمل كل ما حققه العلماء من الشعر الجاهلي وهو صادر من أكثر القبائل لا من بعضها وشعر الحواضر الحجازية في صدر الإسلام وكذلك شعر من سمو ب سادة الشعراء"<sup>5</sup>.

3-5: من علوم القرآن معرفة غريبه وهو النوع الثامن عشر من علوم القرآن عند الزركشي ومهتم هذا العلم بمعرفة مدلول بعض الكلمات التي لا يعرف معناها إلا بدراسة وتعمق، وهي مثل مسألة

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، ص 35، 385.

2- المصدر نفسه، ص، 38، 63، 391.

3- المصدر نفسه، ص 286، ص 304.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: أبو الفضل الدمياطي، ص 389.

5- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1 ص 23.

الفصاحة نرى فيها أبحاثا خاصة بها عند اللغويين وعند المفسرين وعلوم القرآن، وكذا نرى كتباً مستقلة لهذا العلم وقد ذكر الزركشي في كتابه البرهان في مقدمة كل علم له صلة بالعلوم اللغوية المؤلفات الخاصة بالمفردة القرآنية التي ألف فيها اللغويون كتباً، فنجد مثلاً كتاب "المجاز" لأبي عبيدة، و"الغريبين في القرآن والحديث" للهروي و"ياقوتة الصراط" لأبي عمر غلام ثعلب وغيرهم<sup>1</sup> ومراد الزركشي من ذكر المؤلفات هو التأكيد على الاشتراك الحاصل وعلاقة التأثير بين الدراسات اللغوية والقرآنية، ولأن اللسانيات ما هي إلا تطور لتلك الدراسات اللغوية القديمة فلا شك أن ذلك التطور الحاصل سيؤثر في الدراسات القرآنية، ولهذا نرى عبد الرحمان الحاج صالح أدرج هذه المباحث وتكلم عنها في لسانياته، وقد اشتهر في مبحث الغريب القرآني عند المفسرين الرجوع إلى لغة العرب أو الشعر بخاصة لمعرفة المعنى. يقول ابن عباس: "إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"<sup>2</sup>، هذه القاعدة هي من قواعد التفسير كما يذكره خالد السبب فذكر مثلاً قاعدة: "تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب" وقاعدة: "كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء"<sup>3</sup>، إذا رجعنا للدراسات اللسانية للأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح فسنجد له مفهوماً علمياً لكلام ابن عباس حيث يقول شارحاً كلامه ما نصه: "الذي يقصده ابن عباس من عبارته (الشعر ديوان العرب) أن الشعر العربي يمكن أن يعتبر مرجعاً لفهم ما يغمض من حروف القرآن لأنه نزل بلسان العرب فالشعر يكون مجموعة من المعطيات يجب أن يلجأ إليها في تفسير مفردات القرآن وعلى هذا فعبارته مساوية لما يطلق عليه في زماننا بالمدونة اللغوية وهي ترجمة للكلمة الأجنبية corpus لأن corpus هو ما يجمعه المتحري اللغوي من الكلام ليدرسه انطلاقاً من تلك المجموعة اللغوية التي ينتمي إليها أصحاب هذا الكلام"<sup>4</sup>

فها هنا يقصد ابن عباس أن لغة القرآن تنتهي إلى لغة العرب وليست خارجة عن مألوفهم في الكلام ولا في المفردات ولا في المعاني، وبعض النحويين تعرضوا لنوع من الإنكار حينما احتجوا على القرآن بالشعر وأنهم جعلوا الشعر أصلاً للقرآن، ولكن الحق أنهم أرادوا إثبات الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله يقول: ﴿إنا أنزلناه قرءاً أنا عربياً﴾ (يوسف:2)، ويقول: ﴿بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء:195).<sup>5</sup>

ويقول رداً على المستشرقين ومعرفةً بمعنى لغات العرب "لجوء العلماء إلى أشعار العرب إن دل على شيء فإنه يدل على أن لغة القرآن هي لغة الشعراء ولغة كافة العرب قبل أن يختلطوا بغيرهم وليست لغة مشتركة مثالية koiné وضعت فوق اللهجات للشعر خصيصاً كما يزعمه المستشرقون ومن اتبعهم

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: أبي الفضل الديمياطي، ص204.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص205.

3- خالد السبب، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ص217، 224.

4- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص29.

5- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: أبو الفضل الديمياطي، ص205.

من المحدثين، وأكبر دليل على ذلك هو الاستقرار للدواوين الشعرية القديمة فهو يبين أن هذا الشعر غير خال من الظواهر اللهجية بل هي كثيرة فيه بحيث لا يمكن أن نعتبر اللغة الفصحى لغة مشتركة خارجة تماما عن اللهجات... فلو كانت لغات العرب أي الكيفيات الخاصة لكل قبيلة في استعمال لفظ أو عبارة معينة كثيرة جدا والقدر المشترك من لغة التخاطب اليومية قليلا جدا لما استطاع العرب أن يخاطب بعضهم بعضا إلا بلغة مثالية مشتركة خاصة بالشعر كما يدّعيه المستشرقين غير تلك العربية التي وصفها سيبويه في كتابه وهي لغة العرب التي سمعهم يتخاطبون بها يوميا وليست خاصة بالشعر وكانت فيها لغات على قلة بالنسبة إلى العدد الكبير جدا من الألفاظ والعبارات التي كان يستعملها كل العرب في مخاطبتهم العادية".<sup>1</sup>

هذا الكلام هنا مفيد في علوم القرآن من حيث معرفة معنى لغات العرب والتي جعلها بعض من الدارسين للتفسير شرحا لمعنى الأحرف السبعة فقالوا هي لغات سبعة لسبع قبائل، وقد ضُغِفَ هذا القول استنادا لحادثة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم حيث اختلفت قراءتهما مع أن كلاهما قرشي، ولم يكن لعمر بن الخطاب أن ينكر على حكيم لغته التي طُبع عليها، هذا لو صحَّ مثل هذا القول ولكنه ضعيف<sup>2</sup> إذن فاللغات عند الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح هي اللهجات، وهذه اللهجات التي هي طرق في استعمال الألفاظ ليست بذلك الاختلاف الكثير بحيث تكون هناك لغة مشتركة مثالية كما يزعمه المستشرقون.

4-5: علم القراءات وهو علم صوتي بدرجة أولى: من العلوم التي لها حظ في علوم القرآن وقد ذكرها الزركشي في كتابه البرهان تحت النوع الثاني والعشرين حيث عنوانه ب: "معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر".<sup>3</sup>

هذا العلم المستقل بذاته له علاقة باللسانيات من جهة دراستها لعلم الأصوات وكيفية نشأتها وما إلى ذلك وقد وجد طريقا إلى بحوث الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح الذي يضع الأمور موضع التساؤل ويعيد الصياغة من جديد على أساس علم القدامى لا علم المتأخرين ففي مبحث عنوانه ب"أصول تصحيح القراءة عند مؤلفي كتب القراءات وعلوم القرآن قبل القرن الرابع" يقول عن علة التقييد بما قبل القرن الرابع ما نصه: "أما اختيارنا لهذه الفترة بالذات فلأن كل من جاء بعد ابن مجاهد من المؤلفين للكتب التي تطرقت إلى القراءات قد اتبعوا النهج الذي سار عليه جزئيا أو كليا وهذا ترتب عليه تحول عميق للنهج القديم وطراً تأويل جديد لأصول التصحيح فأردنا أن نعرف بالضبط ما الذي امتاز به المتقدمون في فهمهم لهذه الأصول وكيف تم استعمالهم لها".<sup>4</sup>

1- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص 34-35. بتصرف.

2- الزركشي، البرهان، ت: أبو الفضل الدمياطي، ص 153 بتصرف.

3- الزركشي، البرهان، ص 222.

4- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2 ص 203.

إن أكثر ما يلفت الذهن لبحوث الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح هو رد الأمور إلى القرون الثلاث الأولى وكأنه فهم من حديث النبي الذي يزكي علم القرون الثلاث الأولى فهمه فهما عاما سواء في العقيدة أو اللغة أو الفقه أو الحديث أو غير ذلك من العلوم المتصلة بالكتاب والسنة، والشاهد أنه حينما مشى على هذه الطريقة اهتدى إلى ما يسمى بالتصفية والتربية، فهنا أراد أن يصفي الدخيل الوارد بعد القرن الرابع عن الأصل الذي كان قبل ذلك والأمر الآخر هو الفهم العلمي البحثي لعلوم السلف وهذا هو الذي ميزه على بقية اللغويين.

انظر مثلا كيف يضع قول أبي عمرو الداني موضع التساؤل فيقول: "يردد المتأخرون من علماء القراءات قول أبي عمرو الداني "وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبتت عندهم لم يردها قياس عربية ولا فشولغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها".<sup>1</sup>

ينطلق الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح من هذا الكلام الذي هو مسلم به عند الجميع لكن فهم هذا الكلام قد لا يكون بذاك التسليم للقبول.

يقول الأستاذ بأكاديمية راقية التالي: "هذا كلام سليم ومع ذلك ينقصه شيء مهم جدا وهو الإجابة عن هذا السؤال الذي يثيره هذا النص في النفوس وهو: إذا كانت القراءة لا تثبت بفشولغة ولا قياس عربية وهذا مسلم به فلم لم تخبرنا في كلامك هذا بالذات بماذا تثبت؟ وما هي الأصول التي أجمع العلماء من السلف على العمل بها في ذلك؟ ثم إذا كانت القراءة سنة متبعة وهذا لا يشك فيه أحد فهل تثبت مثلما تثبت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم؟"<sup>2</sup> ثم يقول: "إن الروايات والطرق إلى القراء السبعة التي جمعها الداني في هذا الكتاب (أكثر من 500) وكل من سار على هذا النهج فيكتب القراءات تدل على أن أهم وسيلة لإثبات القراءة هو الإسناد الصحيح ومع هذا فإن الداني نفسه يقول في هذا الكتاب بالذات أن القراءة لا تنقل نقل الأحاديث إذن فما هي معايير القراءة الصحيحة؟"<sup>3</sup>

يذكر علماء القراءات من قديم ثلاث معايير وهي صحة النقل وموافقة خط المصحف وموافقة العربية.<sup>4</sup>

التساؤل المطروح هو في مسألة النقل فالمتأخرون يرددون كلمة صحة النقل لكن العلم الدقيق يفرق بين نقل الحديث ونقل القراءة، فالحديث ينقل بالمعنى، لكن القراءة لا بد من التدقيق في اللفظ والصوت حتى تنقل وهذا هو جوهر المسألة وإلى هنا يصل الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح إلى نوعين

1- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2 ص203.  
2- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. ج2 ص203-204.  
3- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2 ص203.  
4- انظر النقول في ذلك عن العلماء في كتاب علوم القرآن للزركشي، ت: أبو الفضل الدمياطي ص230-231.



من النقل للقراءة فيقول: "وعلى هذا فإن الذي نقل من القراءات إنما نقل بقناتين اثنتين:

- 1- قناة النقل بالعرض والسماع بالاعتماد على من قام بذلك من الأئمة.
- 2- قناة بالنقل بالرواية المحضبة وهو ما يسميه الداني ب"القراءات المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل الأحاديث التي لا يجوز إثبات قرءان بها".<sup>1</sup>

هذا التأسيس دقيق جدا في فهم كلمة النقل، فقد يكون النقل صحيحا عن النبي ولا تعد قراءة لسبب واحد وهو عدم نقلها بالإقراء أي مشافهة وعرضا.

يقول الأستاذ ما نصه: "وفي الخلاصة يمكن أن نقول بأن كل ما روي عن الصحابة وغيرهم برواية مجردة كمثل ما سمع من الصحابي وهو يصلي فلن يصير ذلك عند العلماء المتقدمين مصدرا للقراءة الصحيحة إلا إذا وافقت إحدى القراءات الواردة بطريق الإقراء أي بالسماع والعرض وتكون عندئذ تأكيدا لتلك القراءة وحجة لاختيارها من بين القراءات الصحيحة الأخرى الواردة هي أيضا بنفس الطريق".<sup>2</sup>

والطريق الذي ساعد الأستاذ على الوصول إلى هذا الفهم هو طريقته في البحث الألسني حيث يرد المصطلحات أو الكلمات التي يرددها المتأخرون إلى ما كان عليه العمل في الصدر الأول، وقد نقلت فيم سبق أنه كان يعيب على المتأخرين أنهم لا يعرفون بالضبط ما كان يقصده علماءنا الأولون من كلمتي الحرف والكلمة والقياس والباب وغير ذلك مما يوجد في كتب الأولين والمتأخرين.

## 6. خاتمة

يمكن في ختام هذه الدراسة أن نعي كيف تؤثر البحوث اللسانية في اللغة العربية على ما يتصل بها بشكل مباشر من المباحث التي لها علاقة بالعلوم الشرعية، ولهذا نخلص إلى النقاط الآتية:

6-1: إن الخوض في مسائل الأصالة والمعاصرة يجب أن يمر على أساس المحور الذي يجمع بين العلوم اللغوية والعلوم الإسلامية بخاصة ما تعلق منها بالقرآن الكريم، وهو نوع من التكامل الموجود بين العلوم الإنسانية.

6-2: تعتبر دراسات الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح دراسات معتدلة ونموذجية يمكن البناء عليها والاستفادة منها في نقد بعض الأقوال الضعيفة في حقل التفسير وعلومه.

6-3: تمكن الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح من تجديد معنى المدونة اللغوية والاعتماد على هذا المعنى في إعطاء المعنى الصحيح لكيفية الرجوع إلى الشعر في تفسير القرآن الكريم.

6-4: أعطى الأستاذ الحاج صالح أيضا مفهوما لمعنى الأحرف السبعة الموجودة في اللغة العربية ودحض قول المستشرقين الذين فرقوا بين اللغة العربية وعلوها على اللهجات العربية.

1- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2 ص211.

2- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2 ص212.



5-6: تمتد الجهود اللسانية للأستاذ الحاج صالح من تصحيح معنى اشتراط صحة النقل في اعتبار القراءات حيث بين أن صحة النقل وحده لا يكفي، بل يجب أن ينضم إليه شرط مهم وهو اعتبار العرض والسماع.

6-6: تعتبر البحوث اللغوية التي أجراها الأستاذ الحاج صالح في دراسته تتوافق مع المنهج الداعي إلى العودة إلى علوم ما قبل القرن الرابع والتي تعد الأكثر صحة والأكثر صفاء من حيث اللغة أو غيرها، ثم البناء عليها من أجل تصفية المفاهيم المتسربة إلى الحقول المعرفية في الدراسات الإنسانية.

### 7. قائمة المراجع

- 1- ابن فارس، *الصاحبي في فقه اللغة*، ت: أحمد حسن بسج، -لبنان- دار الكتب العلمية ط1(1996)
  - 2- ابن فارس (1979)، *مقاييس اللغة*، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر.
  - 3- بن التواتي التواتي (2012)، *المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث*، الجزائر، دار الوعي .
  - 4- الجرجاني عبد القاهر، 1375، *دلائل الإعجاز*، ت: محمود شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي.
  - 5- بوكثير حمزة، سنة 2019، *جهود عبد الرحمان الحاج صالح في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات* (رسالة دكتوراه) قسم الدراسات اللغوية، كلية الأدب العربي والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم-.
  - 6- حمر العين خيرة، (1969) *جدل الحداثة في نقد الشعر العربي*، دمشق سوريا، اتحاد الكتاب العرب..
  - 7- خالد السبت، 1421، *قواعد التفسير جمعاً ودراسة*، دار ابن عفان
  - 8- الفراهيدي الخليل بن أحمد، 2003، *العين*، ت: عبد الحميد الهنداوي، لبنان، دار الكتب العلمية.
  - 9- الأصفهاني الراغب، (2009). *المفردات*، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم .
  - 10- الزركشي، (2006) *البرهان*، ت: أبو الفضل الدمياطي، مصر، دار الحديث .
  - 11- السيوطي، *الإتقان*، 1426 ت: مركز الدراسات القرآنية، السعودية، طبع مجمع الملك فهد.
  - 12- السيوطي، (1986)، *المزهر في علوم اللغة*، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، بيروت، المكتبة العصرية .
  - 13- شيخ بشري، (2014)، *جهود عبد الرحمان صالح في الدرس اللساني* (رسالة ماجستير)، قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان-
  - 14- الحاج صالح عبد الرحمان، (2012)، *بحوث ودراسات في اللسانيات العربية*، الجزائر، موفم للنشر .
  - 15- السيد حامد عبد السلام، (2018)، *النظرية النحوية عند عبد الرحمان الحاج صالح*، Route Educational & Social Science Journal م 5 ع 10
  - 16- بارة عبد الغني، (2005)، *إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر (مقاربة حوارية في الأصول المعرفية)*، مصر، الهيئة المصرية العامة.
  - 17- دي سوسير فرديناند، 1985 *دروس في الألسنية العامة*، تعريب صالح القرمادي، طرابلس دار العربية للكتاب
  - 18- التفتازاني سعد الدين وآخرون 1937، *شروح التلخيص*، مطبعة عيسى بابي الحلبي، مصر.
- موقع جائزة الملك فيصل على الرابط الآتي:  
<https://web.archive.org/web/20180823061305/http://kingfaisalprize.org:80/ar/professor-abderrahman-el-houari-hadj-saleh/>
  - وله ترجمة على الويكيبيديا على الرابط : [https://ar.wikipedia.org/wiki/صالح-الحاج-عبد\\_الرحمان](https://ar.wikipedia.org/wiki/صالح-الحاج-عبد_الرحمان)